بنت المدارس :

« العلم القليل أضر بصاحبه من الجهل الكثير »

لا عدو للأمة أشد عليها من العلم القليل الذى يلقى بأفرادها فى مهواة سحيقه من الضلال . وبلادنا لسوء الحظ مصابة بهذا العدو . فانك اذا سألت أيا كان من العامة أو حتى من المتوسطين لماذا ترسل ولدك الى المدرسة لما اجابك الا بقوله « ليتعلم القراءة والكتابة » . كانما القراءة والكتابة هى العلم كله ! ولكن أين هذا من الغاية الحقيقية للتعليم؟ ومتى يحين الوقت الذى فيه يدرك كل مصرى ان الغرض من تعليم أولاده وبناته بالمدارس انما هو انجاب ابناء اقوياء للبلاد يعدون المثل الاعلى للانسان الكامل. حيث تمشى فى صدورهم روح غذيت بالمبادىء السامية وهذبت بالفضيلة فصارت تميل بطبيعتها للخير . وتنفر بطبيعتها من الشر

أجل . انى لنا بذلك الوقت الذى لا نرضى فيه من التعليم بأقل من ترقية عقول ابنائنا الى الذروة العليا حيث تكون قد تثقفت بالعلوم التى تكشف لهم حقائق الكون وجماله . فيدركون وجود الخالق بادراك خليقته . وتنشأ معهم نفوس مؤمنة بخالقها قريبة من ربها

غير ان قومنا قد تأصلت فيهم فكرة الاكتفاء لابنائهم وبناتهم بالتعليم الأولي . فلا تجد الآباء من أمنية الا بأن يأخذ أولادهم الشهادة. لكى يستخدموا بها فى الحكومة ! ولا تشتهى الامهات لبناتهن الا « فك الخط وقراءة الجواب ! » . وكلما سمعت من أفواه الذين يؤيدون

هذا المذهب البواعث التى صورته لهم هكذا جميلا فى نظرهم فنزعوا له قانعين به ـ إلا تملكتنى الدهشة وعرانى الذهول . لشدة ما أرى فى تلك البواعث من التناقض . على ان الضرر الجسيم الذى ينجم عن هذا الرأى يكفى وحده للدلالة على بطلانه

وليس من شأنى ان اتعرض هنا لمسألة الرجال. فالنساء أولى بالذكر والافاضة فى أمرهن

ليس هناك الا من يرجو أن تبلغ الفتاة درجة الكمال : فهل ينتظر أن يصل بها علمها القليل الى ذلك الكمال المنشود ؟ كلا . فان المعرفة القليلة ليس من شأنها أن توصلها الا الى أشد حالات الارتباك فى حياتها . فتراها تخلط بين الخطأ والصواب. وقلما تميز بين ما لها وعليها. ولا تعهدها الا مشتطة فيما ليس من شأنها متدفعة فيه اندفاع السهم لا يردها عنه راد لأنها تعتقد فى نفسها القدرة على القيام بجميع الأمور . ولا يبعدها عنه نصح ناصح. لا لانها تعلمت فى الايام القليلة التى قضتها فى مدرستها عدم الطاعه بل ان كثرة اعجابها بنفسها تدفعها عن الاصغاء لاى انسان .

وقفة هنا أمام ما أراه من صفات هذه الفتاة .

تخرج الفتاة من المدرسة وهى على تمام الجهل بالعلم الحقيقى والغرض الذى ذهبت من أجله الى المدرسه.. ولكنها ترى من نفسها الفتاة المتعلمة التى امتازت عن أختها الجاهلة بالقراءة والكتابة وكفاها انها «بنت مدرسة» فهى تضع بنفسها فى مستوى فوق مستواها الحقيقى. وحسبك ما يكون من تأثير ذلك فى اخلاقها وأدهى من هذا ان تلك الفتاة تود أن تبرز فى أبهى صورة تستطيعها فتنبعث الى التبرج المذموم . ولو سألت عما يسوغ لها

ذلك . لما كان الجواب الا انها «بنت مدرسة» ؛ وانها متعلمة ! وفى ذلك ما فيه تسوىء سمعة غيرها من المهذبات المتعلمات

ترى تلك الفتاة فى نفسها انها ذات فكر صائب ونظر ثاقب . فان انت أردت نصحها أعرضت عنك ورمتك بالجهل والانحطاط عن مرتبتها أو عن مصاف المتمدنين ؛ وان ناقشتها في موضوع فلا تقتنع بحجتك مهما قويت . ولا يعجبها الا ما خرج من فيها

خطر جسيم اذا كان من مثل هذه الفتاة معلمات أو أمهات يربين بنات الامة . لانه اذا كان حقاً ما قاله الشاعر وهو : «ينشأ الصغير على ما كان والده» فانه لا ينتظر ممن يتخرجن على أيديهن الا أن يكن على مثالهن أو أضل سبيلا !

مثل هذه الفتاة . لاهى بالجاهلة التى أنشأها ذووها النشأة البسيطة التى يطيب لهم أن تكون عليها . ولا هى بالمتعلمة التى أنار بصيرتها التهذيب والتثقيف فأصبحت ولها مقدرة الحكم على صلاحية أمر أو فساده وتقدر ما لكل حال وظرف قدره . لذلك تراها تتخبط فى دياجير الجهالة تارة . وأخرى تندفع برائد التقليد الأعمى وراء عادات الفرنجة والمدنية الكاذبة . فتجمع بين خصلتى شر جهالة الشرق وفساد الغرب

هنا أقف باهتة متسائلة :

لماذا نقتصر فى تعليم البنت على الكفاف ؟؟ وماذا نؤمل أن نجنى من ارسالها مثلا الى مدارس لا تتخرج منها ملمة الا ببعض الكماليات وعلى جهل تام بما يؤهلهن لان يكن فى مستقبلهن ربات منازل ورئيسات الاسرات .

يحتج البعض على تعليم البنت كثيراً بان فى خروجها مخالفة للشريعة الاسلامية فهلا يدعو الى الدهشة رغبة آخرين فى ارسالها الى مدارس تخرج فتيات لا يعلمن من أمر دينهن شيئاً ؟؟ واذا صح أن رجلا أظهر ضعفه عن أن يلاحظ سلوك أبنته وهى فى المدرسة ويرعاها بعنايته فهل يدل ذلك على شهامته وكفاءته لان تكون تربيته لها فى المنزل مجدية مثمرة ؟؟ وهل اذا أبى عليها أن تذهب المدرسة فهل يعوضها ما حرمها من التعليم والتهذيب ويضمن لها ان تكون فى المستقبل اما واقفة على حقيقة واجباتها نحو منزلها ؟؟

أن أمتنا فى حاجة الى رجال عاملين ولكن أشد من ذلك حاجتها الى أمهات لسن دمى جميلة لتزيين المنازل بل أفراداً فى الحياة يقدرن ما لهن من الحقوق . اكفاء لان يقمن بما عليهن من الواجبات فعلينا أن نعلم البنت ما يهذب نفسها ويثقف عقلها ولا يكون ذلك الا بكثير المعرفة التى كلما كبر نصيبها منها كلما تاقت نفسها الى المزيد

عزيزه نجيب

يؤلمنى

١ أن يتعب الانسان فى جلب المال ولا يحسن طريقة انفاقه
٢ أن يعرف الداء وتهمل معالجته بالدواء
٣ من يلوم غيره ولا يصلح نفسه
٤ من يدعى العلم ولا يعمل به